﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٤٦﴾ [الرّوم: 46]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعد أن ذَكَرَ النّظمُ الجليلُ في صدر السّورة الآياتِ الدّالّةَ على الوَحدانيَّة، وما يترتّبُ على ذلك منَ البعث، عاد النّظمُ إلى ذِكْر الآيات والنّعم التي فيها حفظُ الوجود، وهي الرّياح، التي جعلها تعالى سببًا في إدرار المطر اللّازم للحياة، وما في آثار المطرِ منِ الاستدلال على البعث، وهو إنباتُ الأرض المَوات[1].

بعد آياتِ التّوحيدِ والبعثِ أثرى البيانُ الاستدلالَ على البعث بالإنبات من المَوَات

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مُبَشِّرَٰتٖ﴾: (بشر) أصْلٌ يدلُّ على ظُهورِ الشَّيْءِ مَعَ حُسْنٍ وجمالٍ، ويُقالُ: بَشَّرْتُ فُلانًا أُبَشِّرُهُ تَبْشيرًا، وذَلِكَ يَكونُ بالخَيْرِ[2]، والبَشَرَةُ والبَشَرُ: ظاهرُ جِلدِ الإنسان، والمُبَشِّرات: الرّياح التي تُبَشِّرُ بالغيث[3]، وأبْشَرْتُ الرّجلَ وبَشَّرْتُهُ: أخبرتُه بسارٍّ بَسَط بشرةَ وجهِه، وذلك أنّ النّفسَ إذا سُرَّت انتشر الدَّمُ فيها انتشارَ الماء في الشّجر، يقال: بَشَرْتُهُ فَأَبْشَرَ، أي: اسْتَبْشَرَ، وأبْشَرْتُهُ، والبشير: المُبَشِّر، قال تعالى: ﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧﴾ [الزّمر: 17]، ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ﴾، أي: تبشّرُ بالمطر[4].

2) ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾: (ذوق) أصْلُه اخْتِبارُ الشَّيْءِ مِنْ جِهَةِ تَطَعُّم، ثُمَّ يُشْتَقُّ مِنْهُ مَجازًا، فَيُقالُ: ذُقْتُ المَأكولَ أذوقُهُ ذَوْقًا، وذُقْتُ ما

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 112، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 118.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بشر).
(3) الجوهريّ، الصّحاح: (بشر).
(4) الرّاغب، المفردات: (بشر).

عِنْدَ فُلانٍ: اخْتَبَرْتُهُ، وقال الخَليل: كُلُّ ما نَزَلَ بإنسانٍ مِنْ مَكْروهٍ فَقَدْ ذاقَهُ[1]، وأصلُه فيما يقلّ تناولُه دون ما يكثرُ، فإنّ ما يكثرُ منه يقال له: الأَكْلُ، واختير في القرآن لفظُ الذّوق في العذاب كثيرًا، نحو: ﴿لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾ [النّساء: 56]، ويَكونُ بِالفَمِ وبِغَيْرِ الفَمِ، وكلُّ ما نزل بإنسان من مكروه فقد ذاقه، قال تعالى: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ [الطلاق: 9] أي: خبَرت[2].

3) ﴿وَلِتَبْتَغُواْ﴾: (بغي) أصلٌ يدل على طلَبِ الشَّيءِ، تقول: ابتغيتُ الشَّيءَ، وبغيتُه، أبغيه بُغيةً وابتغاءً، أيْ: طلَبْتُه[3]، والباغي: الَّذي يَطلُبُ الشَّيءَ الضّالَّ، وأبغاهُ الشَّيءَ: طَلَبَهُ له، وأعانه على طلَبه[4]، والابتغاءُ: الاجتهادُ في الطَّلَبِ[5]، وهو أيضًا: الإرادةُ والقَصْدُ، يُقالُ: ابتغيتُ الأجرَ في عملي، أي: قصدتُه، ويأتي بِمعنى الاتِّخاذ، تقول: ابتغيتُ البيتَ سكنًا لي، أيْ: اتَّخَذْتُهُ[6]، والمقصودُ بالابتغاءِ في الآيةِ: الرَّغبةُ والطَّلَبُ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

من دلائلِ القدرةِ وكمالِها ما في الكون من مظاهر الحياةِ وأسبابِها

يبيّن النّظمُ الجليلُ أنواعًا أخرى منَ الظّواهر الكونيّة الدّالّةِ على كمال قدرةِ اللّه تعالى، أي: إنّ من أدلّة وحدانيّته تعالى - وأنّه إلهُ كلِّ شيءٍ - أنّه يُرسل الرّياحَ مُبَشِّراتٍ بالغيث والرّحمة، فيُنزلُ عليكم الغيثَ الذي يحيي به البلادَ، ولتجريَ السُّفنُ في البحار بأمره تعالى، ولتلتمسوا من أرزاقه ومعايشكم التي قسمها بينكم، ولتشكروا ربّكم على ذلك[7]، أي: أنّ اللّه تعالى يرسلُ الرّياح مبشراتٍ بالأمطار

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذوق).
(2) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (ذوق).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بغي).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (بغي).
(5) الرّاغب، المفردات: (بغي)، والمناويّ، التّوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 35.
(6) الفيروزباديّ، القاموس المحيط، وابن منظور، لسان العرب: (بغا، بغي).
(7) ابن جرير، جامع البيان: 20/ 112.

لتنالوا من رحمته الخِصْبَ والنّماء لزرعكم، ولتجريَ السّفنُ في البحر بإذنه تعالى، ولتبتغوا أرزاقَكم عن طريق الأسفار، والانتقالِ من مكان إلى آخر، ولكي تشكروا اللّهَ تعالى على هذه النّعم العظيمة؛ فإنّكم إذا شكرتموه على نعمه زادكم منها[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواوِ في صدر الآية:

عَـطْـفُ الآيـاتِ عـلـى الآيـــات تجديدٌ للبيان وتأكيدٌ لحقيقة التّوحيد

عطفَ النّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ على الجملة في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الرّوم: 25]، فعاد النّظمُ إلى تعداد الآياتِ الدّالّةِ على التّوحيد، وما بين الآيتين منَ الدّلائل على الوَحدانية والبعث، ومنَ المواعظ الجليلة، كان لتجديد نشاطِ السّامعين؛ للإقبال على هذه الدّلائل البيّنةِ بجِدٍّ وانتباه[2].

معنى (مِن) في ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾:

كـلُّ آيـةٍ مـنَ آياتِ الله تعالى كافيةٌ في البيان والـدّلالـةِ على الحقّ

عبّر النّظمُ الجليلُ بحرف الجرّ (مِن) في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾ وهي هنا دالّةٌ على التّبعيض، "أي: ومن دلالاتِ بديعِ قدرته تعالى إرسالُ الرّياح"[3]، والتّبعيضُ يدلّ على أنّ كلَّ آية مفردةٍ من تلك الآيات جديرةٌ بالكفاية على الدّلالة على التّوحيد.

دلالةُ التّعبيرِ بالآياتِ جمعًا:

الآيـاتُ علاماتٌ بيّنةٌ واضحةٌ على الخالق

عبّر النّظمُ الجليلُ بلفظ الآيات في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾؛ لأنّ المذكوراتِ تتضمّن علاماتٍ بيّنةً واضحةً على كمال القدرة، وتمامِ العِلْم، ودالّةٍ على أنّ الله

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 96.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 118.
(3) القنوجيّ، فتح البيان: 10/ 260.

تعالى وحدَه الذي أقام هذا الوجود[1]، وجاء التّعبيرُ بصيغة الجمع للدّلالة على كثرة الآياتِ، وأنّ إرسال الرّياح آيةٌ واحدةٌ من تلك الآيات الكثيرة.

دلالةُ إضافةِ الآياتِ إلى ضميرٍ:

الآياتُ العظيمةُ الدّالّةُ على الله تعالى جديرةٌ بنسبتِها إليه سبحانه

أضاف النّظمُ الجليلُ لفظَ الآيات إلى الضّمير العائدِ على ذي الجلال والإكرام في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾؛ تعظيمًا لشأن تلك الآيات، وبيانًا لكونِها آياتٍ جديرةً بإيقاع الاتّعاظ، وتحقيقِ الفهم، فهي حقيقةٌ بإظهار صفةِ التّوحيد لخالق هذا الكون، الذي من لطفِه بعباده ورحمتِه بهم تسييرُه الرّياحَ.

نُكْتَةُ تقديمِ المُسنَدِ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ على المسنَد إليه:

إرسالُ الرّياح آيةٌ خاصّةٌ بخالقها تعالى

قدّم النّظمُ الجليلُ شبْه الجملة من الجارِّ والمجرور ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ على المُسنَد إليه في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾، دون أن يقول: (وإرسال الرّياح من آياته)؛ وذلك للدّلالة على اختصاص إرسالِ الرّياح بكونِه آيةً ودليلًا على خالق الوجود، ومُدَبّرِ أمرِه.

نُكْتَةُ إيثارِ المصدرِ المؤوَّلِ ﴿أَن يُرْسِلَ﴾:

الإنعامُ بإرسالِ الرّياحِ دائمٌ متجدّدٌ

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالمصدر المؤوّل دون المصدر الصّريحِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾، فلم يقل: (ومن آياته إرسالُ الرّياح)؛ وذلك لِما في الفعل المضارع من دلالةٍ على التّجدُّد، فهو يرسلُ تلك الرّياحَ على سبيل التّجدُّد والاستمرار[2]، فهو يشيرُ إلى أنّ وجه الإنعام في إرسال الرّياحِ هو تجدُّدُ إرسالِها ودوامُه، وفي التّعبير بالمصدر المؤوّل بيانٌ لحدث الإرسال دونَ تحديدٍ لكيفيّاته؛ لأنّ "المصدرَ المؤوّلَ ولا سيما مع

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 113.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 113.

(أنْ) يدلُّ على مُجرّد معنى الحدثِ دونَ احتمالٍ زائدٍ عليه، ففيها - يعني (أن) - تحصينٌ منَ الإشكال، وتخليصٌ له من شوائب الإجمال"[1].

بلاغةُ المجازِ في ﴿يُرۡسِلَ﴾:

الإرسـالُ تعبيرٌ عن تحقُّق بلوغِ المُراد منَ الرّياح

عبّر النّظمُ الجليلُ بلفظ الإرسال على سبيل المجاز في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ﴾؛ وذلك لأنّ الإرسال إنّما يكون برسالة يتحمّلُها رسولٌ، فعبّر بالإرسال للدّلالة على وصول نفعِ الرّياح إلى البلاد التي تحتاجُها، أي: أنّ الله تعالى يُكَوِّنُ يُكَوِّنُ الرّياحَ ويوجِّهُها إلى بلدٍ محتاجٍ إلى المطر[2].

سِرُّ جمعِ الرّياح:

كـثرةُ الـرّيـاحِ دليلٌ على كمال الـقـدرةِ وسَعـةِ النّعمةِ

جمع النّظمُ الجليلُ لفظَ ﴿ٱلرِّيَاحَ﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ﴾؛ للإشارة إلى "باهرِ القدرة؛ فإنّ تحويل الرّيح الواحدةِ من جهة إلى أخرى أمرٌ عظيم، لا قدرةَ لغيره عليه في الفضاء الواسع، وكذا إسكانُه، فكيف إذا كانت رياحٌ متعاكِسَةٌ، ففي إثارتها كذلك ثمّ إسكانِها من باهر القدرة ما لا يعلمُه إلّا أولو البصائر"[3].

بلاغةُ الاستعارةِ في ﴿ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ﴾:

الـرّيـاحُ كـرسولٍ يـحـمـلُ أخـبـارَ المَسَرّةِ للنّاس

استعار النّظمُ الجليلُ لفظَ التّبشير للرّياح في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ﴾، والبشارةُ: هي الخبر السّارُّ، فشَبّهَ الرّيحَ بالرّسول المُبشِّرِ بخبر يَسُرُّ النّاس[4]، فحذفَ المُشبّهَ به وهو الرّسولُ، وأبقى البشارةَ دالّةً عليه، فالاستعارةُ مكنيّةٌ،

(1) السّامرائيّ، معاني النّحو: 3/ 148.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 118.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 113.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 118.

وإنّما كانتِ الرّياح مُبشرِّةً بالمطر؛ لأنّها تسبقُه[1]، ويرى القُونَويُّ أنّ ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ إمّا مجازٌ عقليٌّ، وإمّا مَجازٌ مُرْسَلٌ[2].

سرُّ اختيارِ صيغةِ اسمِ الفاعلِ ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾:

ثبوتُ صفةِ التّبشيرِ في الرّياحِ المُرسلةِ بالمطر

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ عنِ التّبشير بصيغة اسم الفاعل في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ﴾؛ للدّلالة على ثبوت صفةِ التّبشير في الرّياح المُرسَلةِ بالمطر.

دلالةُ عطفِ الفعلِ ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾:

إرسالُ الرّياحِ تبشيرٌ ورحمةٌ بالعالمين

عطفَ النّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ على المعنى في قوله تعالى: ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾؛ كأنّه قال: ليبشّرَكم بها، وليذيقَكم من رحمته[3]؛ وذلك لأنّ التّبشير يدلُّ على علّة الإرسال، فعطفَ علّةَ الإذاقة على علّة التّبشير[4].

معنَى اللّامِ في ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾:

من حِكَمِ إرسالِ الرّياحِ إيصالُ رحمةِ اللهِ لعباده بالغيث

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بحرف الجرّ (اللّام) في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾؛ للدّلالة على التّعليل، أي: أنّ علّةَ إرسالِ الرّياح المبشّرةِ هو رحمةُ العباد بوفرة الرّزق؛ إذِ الرّياحُ تسوق السّحابَ إلى حيثُ يُمْطِر ويُغيثُ النّاسَ، فاللّام تُبيّنُ الفوائدَ التي تعود على النّاس من إرسال الرّياح، التي تأتي بين يدي الأمطار، فاللهُ تعالى يرسل الرّياحَ ليمنحَ عبادَه من رحمته الخِصْبَ والنّماء[5].

سرُّ التّعبيرِ بـ ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾ مادّةً وصيغةً:

تحقّقُ فوائدِ المطرِ ووجودِ أثرِه في حياة النّاس من رحمة الله تعالى

عبّر النّظمُ الجليلُ بلفظ الإذاقةِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾؛ لأنّ الذّوق: وجودُ الطّعمِ بالفَمِ، وأصلُه فيما يَقِلّ تناولُه

(1) القنوجيّ، فتح البيان: 10/ 260.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/ 160.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 63.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 118.
(5) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 96.

دونَ ما يكثر، فإنّ ما يكثرُ منه يقال له: الأكل[1]، فالتّعبيرُ به يدلّ على أنّ المطر الذي يُغيث النّاسَ ويوفّرُ لهم أسبابَ الحياة منَ الماء والنّماء هو بعضُ رحمةِ اللّه تعالى، وهو أيضًا يُعبّرُ عن بلوغ رحمته لعباده وتحقّقِ المطلوب منها، بأنّهم نالوا فوائدَ المطر، واختيارُ مادّة الإذاقةِ هنا - أيضًا - لِما تُشْعِر به من إدراك أمرٍ محبوب؛ لأنّ المَرء لا يَذوقُ إلّا ما يشتهيه[2]، وجاء التّعبير عنه بصيغة الفعل المضارع؛ للدّلالة على تجدُّد هذه النّعمة وتَكرارِ وقوعِها.

سرُّ إيثارِ لفظِ الإذاقةِ دونَ غيره:

نسبةُ متاعِ الدّنيا إلى الآخرة لا يكادُ يُذكر

أُوثِرَ لفظُ الإذاقة في قوله تعالى: ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ على غيره كـ (يرحمكم)، أو (يشملكم برحمته)، أو (يصيبكم من رحمته)، وغيره؛ لأنّ لفظ الإذاقة يُستعملُ في مواضع القِلّة بلحاظ دلالتِه: طعمًا، أو قلّةَ أكل، ولمّا كان أمرُ الدّنيا قليلًا، وراحتُها نزرًا، قال: ﴿وَلِيُذِيقَكُم﴾، وأمّا في الآخرة فيرزقُهم، ويُوسِّعُ عليهم، ويُديمُ لهم[3].

توجيهُ التعبير بـ(الإذاقة) بين المجازِ والاستعارةِ:

رحمةُ الله تعالى نعمةٌ من واسعِ نِعَمِهِ

تُستعملُ الإذاقةُ في مُطلق الإدراك والإحساسِ والشّعورِ بغير الطّعوم إطلاقًا مجازيًّا، فهو منِ استعمال المُقيَّد في المُطلق، وهو مجازٌ مرسلٌ في الحِسّ بعلاقة الإطلاق، وقد اشتُهر إطلاقُ الإذاقة في القرآن الكريم على إدراك الآلام واللّذات، وهي في حقيقتها إحساسُ اللّسان بأحوال الطّعوم، ووجْهُ الاستعارة فيها هنا: الإحساسُ بالرّحمة إحساسًا مكينًا، كتمكُّن ذوقِ الطّعام من فم ذائقه حين يجدُ له لذّةً، أو هي مستعارَةٌ للإعطاء المُشتمِل لإدراك أثرِ النّعمة؛ إذِ الذّوقُ إدراكُ الطّعوم، وعلى الاتّساع يُستعملُ لإدراك

(1) الرّاغب، المفردات: (ذوق).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/ 12.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 107.

سائر المحسوسات والحالات؛ بحَيْثُ يجد لذَّتَها مُطْلَقًا، سواء كانت لذَّةَ الطّعم، أو لَذَّةَ الشَّمّ والسّمع وغيرِها، ووجهُ الشّبهِ بَيْنَهُما: أنّ وجدان اللَّذَّةِ يترتَّب على الإعطاء، كما يترتّب على الإذاقة[1].

معنى ﴿مِّن﴾ في ﴿مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾:

المطرُ تلكَ النّعمةُ العظيمةُ هو بعضٌ من رحمة الله تعالى

عبّر النّظمُ الجليلُ بحرف الجرّ ﴿مِّن﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾، وهي هنا دالّةٌ على التّبعيض[2]، فالمطرُ الذي تبشِّر به الرّياحُ هو بعضُ رحمة الله تعالى، والتّبعيضُ هنا يدلُّ على عَظَمَة تلك النّعمة، فكلُّ النّعم التي تأتي من إرسال الرّياح وما يتبعُها منَ المطر ونزولِ المياه العذبةِ، لتسقيَ النّباتَ والأشجار، وتحقّقَ صحَّةَ الأبدان، وما يتبع ذلك من أمور لا يحصيها إلّا خالقها، ولا يتصوّرُها إلّا من فَقَد الرّياحَ، من وجود الرّوح وزكاءِ الأرض، وإزالةِ العُفونة منَ الهواء، وغيرِ ذلك، كلُّه بعضُ رحمته تعالى[3].

دلالةُ التّعبيرِ بالرّحمة:

المطرُ المُغيثُ محضُ رحمةٍ منَ المولى تعالى

عبّر النّظمُ الجليلُ بلفظ الرّحمة في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾؛ للدّلالة على المطر[4]، فرحمةُ اللّه تعالى في السّياق يُراد بها المطرُ، وما يتعلّقُ به منَ النّماء ومن مقدّماته من إرسال الرّياح ونشرِ السّحاب.

بلاغةُ المجازِ في لفظ الرّحمةِ:

منافعُ الإنسانِ الدّنيويّةُ من آثارِ رحمةِ الله

الرّحمةُ بمعنى المطر مجازٌ عنِ المنافع والنِّعم، من خِصبٍ ونماء؛ لكونِها سببًا لها[5]، ووجهُ تشبيهِ الرّحمة بالنّعم والمنافع؛ لأنّها أثرُ الرّحمة، سواءٌ أُريدَ بها إرادةُ الخير، أوِ الإكرامُ والإنعام، والتّعبيرُ بها بوصْفها فضلًا[6].

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 10/ 30.
(2) القنوجيّ، فتح البيان: 10/ 260.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 114.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 118.
(5) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 15/ 160.
(6) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 10/ 30.

سرُّ الإضافةِ في ﴿رَّحۡمَتِهِۦ﴾:

عظَمةُ الرّحمةِ المنسوبةِ إلى الله تدلُّ على عظيم الامتنان

أضاف النّظمُ الجليلُ لفظَ الرّحمة إلى ضمير الجلالة في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾؛ تفخيمًا لشأن تلك الرّحمةِ، وتعظيمًا لها، وإظهارًا لعظيم عنايتِه تعالى بعباده، فهو يصيبُهم بالرّحمة المنسوبة إليه.

دلالةُ العطفِ في ﴿وَلِتَجۡرِيَ﴾:

جَـرَيـانُ الفُلْك في البحار يُظهرُ حِـكـمـةَ خَـلْـق الرّياح

عطفَ النّظمُ الجليلُ جَريانَ الرّياح في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ على العِلل السّابقةِ منَ التّبشير والإذاقة؛ للدّلالة على أنّ جَريان الفُلْك في البحار هي عِلّةٌ منَ العلل الدّالّة على الحكمة من خلق الرّياح[1].

نُكْتَةُ تَكرارِ اللّامِ على خلاف الظّاهر:

جَـريُ الـسّـفـنِ نـعـمـةٌ جليلةٌ فيـهـا الـكـفـايـةُ بتحقيق الاتّعاظِ

كرّر النّظمُ الجليلُ ذكْرَ لام الجَرّ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ على خلاف الظّاهر؛ فلم يقل: (وتجريَ الفلك بأمره)؛ وذلك للتّنبيه على عظَمة هذه النّعمة؛ لأنّها لكثرة الإلْف لها صارت مغفولًا عنها[2]، ويدلُّ ذلك - أيضًا - على أنّها نعمةٌ جليلةٌ جديرةٌ بأن تكون مستقلّةً بالتّعليل.

سرُّ اختيارِ لفظِ الجرْيِ مادّةً وصيغةً:

مَـرُّ الـسُّـفـنِ بسُرعة أبلغُ في إظهار الامتنانِ

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بلفظ الجَرْي في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ﴾؛ لأنّ الجَرْيَ يدلّ على المَرّ السّريع[3]؛ وذلك للدّلالة على قوّة الانتفاع بأنّ الرّيح تجعلُ السّفنَ تجري بسُرعة لتحقيق مطالبِ النّاس في التّجارة والسّفر، وجاء التّعبيرُ بالفعل المضارع لاستجلاب الصّورةِ وتصويرِ المشهد، وهذا أبلغُ في

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 119.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 114.
(3) الرّاغب، المفردات: (جرى).

إظهار الإنعام، فلمّا يَستذكرُ الإنسانُ صورةَ تلك النّعمةِ الجليلةِ، ينبعثُ في قلبه وازعُ الاتّعاظ.

نُكْتَةُ إيثارِ الفُلْك على السّفينة:

الفُلْكُ مُستَعملٌ في نظْمِ القرآن في سياق الامتنانِ

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بلفظ الفُلْك دونَ السُّفُن في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ﴾؛ لأنّه مُستعملٌ في سياق الامتنان؛ فيلاحظُ في أسلوب القرآن الكريم أنّه دأبَ على التّعبير بالسَّفينة عمّا له صاحبٌ من تلك المراكب، كقوله تعالى: ﴿إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف: 71]، أمّا استعمالُ الفُلْك فهو باعتبارِ الوظيفةِ العامَّة، لا باعتبارِها مملوكةً لأحدٍ ما، كقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [الحجّ: 65]، وجاء الفُلْك في مواضع الامتنان على العباد بتسخيرِه لهم؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [البقرة: 164]، وفي هذه الآية استعملَ الفُلْكَ لكونِه سياقَ امتنانٍ وبيانِ وجوهِ الإنعام على العباد.

سرُّ التّقييدِ بالجارّ والمجرور ﴿بِأَمۡرِهِۦ﴾:

تنبيهُ الغافلين بالإعلامِ بمُكَوِّنِ الأسبابِ ومُهَيّئِ وجودِها

قيّد النّظمُ الجليلُ جريَ السّفنِ بشِبْهِ الجُملة في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ﴾، فدلَّ ذلك على أنّ الجَريَ كائنٌ بأمر الله تعالى، وفائدةُ هذا التّقييد: الإعلامُ بمِنّة الله تعالى؛ فلولا تقديرُ الله تعالى ذلك لَما جرتِ الفُلْك، ويندرج تحتَه معانٍ كثيرةٌ؛ كإلهامِه تعالى البشرَ لصنعِ الفُلْك، وخَلْقِ نظامِ الرّيح والبحر لتسخير سيرِها[1].

معنَى الباءِ، ودلالةُ التّعبيرِ بها ﴿بِأَمۡرِهِۦ﴾:

عبّر النّظمُ الجليلُ بحرف الجرّ (الباء) في قوله جلّ شأنُه:

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 119.

﴿وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ﴾؛ للدّلالة على السَّبَبيَّة، أي: أنّها تَجري بسبب أمرِه تعالى، لا بالأسباب الظّاهرة.

دلالةُ الإضافةِ إلى ضمير اسمِ الجلالةِ:

عِظَمُ الامتنانِ بصدورِ أمرِ التّسخيرِ منَ الله تعالى

أضاف النّظمُ الجليلُ لفظَ الأمر إلى ضمير الجلالة في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ﴾؛ للدّلالة على عظيم الامتنان، فإنّ الأمرَ بتسخير الرّياح والفلك والبحر إنّما هو أمرُ الله تعالى، فالإضافةُ لإظهارِ عظيم المِنّة.

توجيهُ المتشابهِ اللّفظيّ:

خلتِ الآيةُ من شِبهِ الجملة لعدمِ ذِكرِ البحر

قولُه جلّ شأنُه: ﴿وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ يشابه قولَه تعالى: ﴿لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ﴾ [الجاثية: 12]؛ إذ زاد في سورة الجاثية شبْهَ الجملة ﴿فِيهِ﴾ [الجاثية: 12]؛ وذلك لأنّ الآية في سورة الرّوم في ذكر الرّياح، ولم يتقدّم ذِكْرُ البحر؛ فلذا لم يحوج ذِكْر ما يُشير إليه بشِبه الجملة المتضمّنة لضميره، أمّا في سورة الجاثية فالآية في ذكر البحر، وقد تقدّم ذِكْره، قال تعالى: ﴿۞ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢﴾ [الجاثية: 12][1].

دلالةُ عطفِ الابتغاءِ من فضلِه على ما قبْله:

ابتغاءُ الخيرِ في التّنقّل في البِحارِ نِعْمَةٌ أخرى من نِعَم إرسال الرّياح

عطفَ النّظمُ الجليلُ الابتغاءَ من فضل الله تعالى في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ على ما سبق؛ للتّنبيه على عِظَم هذه النّعمة، فالابتغاءُ من فضل الله تعالى بالحركة خلالَ البحار، هو حِكمةٌ من حِكم الله تعالى التي مَنّ بها على عباده بتسخير الرّياح[2].

نُكْتَةُ تَكرارِ اللّامِ في ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ﴾:

السّيرُ في البحارُ بتلك الرّياح نعمةٌ جديرةٌ بالشّكر والامتنان

كرّرَ النّظمُ الجليلُ ذِكْرَ حرفِ التّعليل (اللّام) في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾؛ للتّنبيه على أنّ مجرّد السّيرِ في البحر

(1) الكرمانيّ، البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص: 203، وزكريّا الأنصاريّ، فتح الرحمن: 1/ 444.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 115.

والانتقالِ من بلد إلى آخرَ هو نعمةٌ في نفسها، فهي جديرةٌ بالامتنان بأن تكون حِكمةً وعِلّةً قائمةً بنفسها[1].

إيثارُ التّعبيرِ بلفظِ الابتغاءِ مادّةً وصيغةً:

عُبِّرَ بلفظ الابتغاء في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾؛ لدلالته على الاجتهاد في الطّلب[2]، فدلّ التّعبيرُ به على أنّ الله تعالى شرع لعباده الاجتهادَ في الانتفاع من فوائد إرسالِ الرّيح بالخير، وجاء التّعبيرُ عن ذلك بالفعل المضارع؛ للدّلالة على تجدُّد طلبِهم واستمرارِه، وهو يُشير إلى دوام هذه النّعمةِ واستمرارِها.

الاجتهادُ في الانتفاعِ بما مَنَّ الله به على عباده

معنى ﴿مِن﴾ في ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾:

عبّر النّظمُ الجليلُ بحرف الجَرّ ﴿مِن﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾، وهو هنا دالٌّ على التّبعيض، فإنّ الانتفاع بجَرْي السّفن في البحار هو بعضٌ من فضل الله تعالى[3]، وهي صالحةٌ أن تكون للابتداء، أي: أنّ اجتهادَكم في الطّلب يَصْدرُ مِن فضل الله تعالى ومنّتِه عليكم، بما سخّرَ لكم من إرسال الرّياح التي تجري السّفنُ في البحار بسببِها.

الانتفاعُ بحركةِ السّفنِ في البحار نعمةٌ من نِعَمٍ كثيرةٍ متحصّلةٍ منَ الرّياح

دلالةُ التّعبيرِ بالفضلِ:

عبّر النّظمُ الجليلُ بلفظ (الفضل) في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾؛ للدّلالة على أنّ منافع البحارِ كالتّجارة، والصّيدِ، والسّياحةِ، هي من محض فضل الله تعالى[4]، فهو وعظٌ للعِباد، وتذكيرٌ بأصل تلك النّعم.

كلُّ نعمةٍ على الإنسانِ هي محضُ فضلٍ من اللهِ

معنَى الواوِ في ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾:

عطفَ النّظمُ الجليلُ رجاءَ الشّكرِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَعَلَّكُمْ

إرسالُ الرّياحِ نعمةٌ عظيمةٌ تقتضي الشّكرَ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 115.
(2) الرّاغب، المفردات: (بغي).
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 115.
(4) الهلال، تفسير القرآن الزّيّ الجامع: 21/ 70.

تَشْكُرُونَ﴾ على العلل التي تقدّم ذِكْرُها؛ لبيان الحكمةِ من إرسال الرّياح، وتقتضي الواو أنّ علّة الشّكر عِلّةٌ منفصلةٌ عنِ العِلل سابقةِ الذّكر، فمُجرّدُ إرسالِ الرّياح يقتضي الشّكرَ بلا نظرٍ للحِكم والفوائدِ الأخرى.

سرُّ التّعبيرِ بـ(لعلَّ):

من عللِ الإنعامِ تـذكـيرُ الـعـبـادِ بحقّ المُنعِم

عبّر النّظمُ الجليلُ بحرف الرّجاء في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ للدّلالة على علّة أخرى من عِلل تلك النّعم متقدّمةِ الذِّكر، فـ(لعلّ) هنا مساقةٌ للتّعليل، أي: حصلت تلك النّعمُ كي تشكروا المُنعمَ تعالى على عظيم فضلِه، وجليلِ مِنَحِه، وواسعِ نعَمِه[1].

دلالةُ تذييلِ الآية برجاءِ الشُّكرِ:

حصولُ الإنعامِ بالتّفضّلِ المحضِ يـوجِـبُ شُـكـرَ المُنعِمِ

ختم النّظمُ الجليلُ الآيةَ برجاء الشّكر في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ تذييلًا لِما سبق ذكرُه في الآية من جزيل النّعم وعظيمِها، فشُكرُ المنعِم بتلك النّعم عاقبةٌ واجبةٌ على كلّ عاقلٍ.

سرُّ اختيارِ صيغةِ المضارعِ ﴿تَشْكُرُونَ﴾:

شـكـرُ الـنّـعـمِ المتجدّدةِ واجبٌ عـلـى سـبـيـلِ التّجدّد

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالفعل المضارع عنِ الشّكر في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ لِما في المضارع من دلالة على التّجدّد والاستمرار، فيكونُ المطلوبُ الإيتاءَ بالشّكر على سبيل التّجدّد في كلّ زمان؛ وذلك لأنّ تلك النّعم متجدّدةٌ دائمةٌ، فيقعُ التّناسبُ بين النّعمة وشُكرِها.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الفُلْك والسَّفينة:

السَّفينةُ ما له صـاحـبٌ مـنَ المـراكـب أمّـا الفُلْكُ فباعتبارِ الوظيفةِ العامّة

دأبَ النّظمُ القرآنيُّ على التّعبيرِ بالسَّفينة عمّا له مالكٌ وصاحبٌ من تلك المراكب، كقوله تعالى: ﴿إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا

(1) الهلال، تفسير القرآن النّريّ الجامع: 21/ 70.

قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف: 71]، أمّا استعمالُ الفُلْك فهو باعتبارِ الوظيفةِ العامَّة، لا باعتبارِها مملوكةً لشخصٍ دون آخر، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الحجّ: 65]، وجاء الفُلْك في مواضع الامتنان على العباد بتسخيره لهم؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [البقرة: 164]، وكقولِه تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ﴾ [يونس: 73].

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والأربعون،
سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 43 ، 816 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-94-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 43 : المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-94-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9381682 بتاريخ 2024/12/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»